ISSN: 2090 – 0449 Online
Universal Impact Factor (UIF), 2015.
Impact Factor for Arabic Scientific Journals, 2016.

دور الصحراء في العلاقات التجارية بين المغرب الأقصى والسودان الغربي خلال العهد المرابطي

د. البشير أبرزاق

أستاذ التعليم الثانوي التأهيلي

باحث في تاريخ المغرب الحديث

العيون – المملكة المغربية

مُلَخّصْ

إن مسعى هذا المقال هو إبراز بعض جوانب من مظاهر التواصل الحضاري بين المغرب الأقصى و السودان الغربي خلال العهد المرابطي، من خلال التركيز على العلاقات التجارية بين الجانبين، ودور الصحراء الإفريقية الكبرى في تنشيطها. إذ كان واضحًا أن الصحراء كانت صلة وصل قوية بين المجالين المغربي والسوداني، خلال تلك المرحلة، وذلك مرتبط أساسًا بأهمية البعد الصحراوي في قيام الدولة المرابطية، والمتمثل في دور القبائل الصنهاجية المستقرة بتخوم الصحراء الأطلنطية، ودعمها للمشروع الدعوي المرابطي انطلاقًا من تلك المنطقة، قبل أن تمتد الدولة لتصبح إمبراطورية الغرب الإسلامي ككل. ولتبيان تلك القضايا وما تطرحه من إشكاليات، تتبعت الدراسة واقع التجارة الصحراوية بين المغرب والسودان الغربي قبل العهد المرابطي، كما وقفت عند مختلف الطرق والمراكز التجارية الصحراوية الحاضرة في العلاقات بين الجانبين خلال الفترة المرابطية، ودور صنهاجة الصحراء في تأمين تلك العلاقات.

بيانات الدراسة:

تاريخ استلام البحث: ١٤ أبريل ٢٠١٤

تاريخ قبول النشر: ٠٣ يوليو ٢٠١٤

كلمات مفتاحية:

التجارة القافلية، الطرق التجارية، التجارة الصحراوية، دولة المرابطين، السودان الغربي

الاستشهاد المرجعي بالمقال:

البشير أبرزاق. "دور الصحراء في العلاقات التجارية بين المغرب الأقصى والسودان الغربي خلال العهد المرابطي".- دورية كان التاريخية.- العدد الثالث والثلاثون؛ سبتمبر ٢٠١٦. ص٤٨ – ٥٣.

مُقَدِّمَةْ

إن دراسة تاريخ منطقة الغرب الإسلامي عامة والمغرب الأقصى بشكل خاص، يفرض استحضار ثلاثة عناصر/ مقومات أساسية ساهمت مع الإنسان، إما مجتمعة أو منفردة، في صناعة ذلك التاريخ، والأمر يتعلق هنا بكل من الصحراء والجبل والبحر. وتأتي هذه المساهمة، محاولة لتقديم بعض الجوانب الهامة في العلاقات الاقتصادية التي ربطت بين ضفتي الصحراء الإفريقية الكبرى خلال العصر الوسيط، ولإثبات دور الصحراء كصلة وصل بين عالمين متكاملين ومترابطين، ومدى مساهمة القوافل التجارية في تخصيب تلك العلاقات، خاصةً وأن "الحديث عن التجارة الصحراوية هو حديث عن تاريخ الصحراء وضفتيها الشمالية والجنوبية".[١] وإذا كانت دراسة النشاط التجاري من شأنها الإجابة عن كثير من تساؤلات الباحثين عن ظروف قيام الدول في المغرب، وعن أسباب انهيارها،[٢] فكيف ساهمت التجارة الصحراوية خلال العصر الوسيط في قيام دولة المرابطين؟

ومن منطلق المساهمة في تقديم بعض الإجابات عن هذه الإشكالية، اخترنا رصد أهم الجوانب المهمة في الصلات التي ربطت المغرب الأقصى ومنطقة السودان الغربي[٣]، على عهد الدولة المرابطية، ذلك أن المغرب خلال حكم الدولة المرابطية، والموحدية، برز دوره بشكل ملفت في منطقة الغرب الإسلامي ككل؛ فقد كان خلال هذه المرحلة مركز إمبراطورية الغرب الإسلامي (الدولة المرابطية)، كما استفاد من موقعه القريب من

منطقة السودان الغربي، مما أهله ليصبح وسيطًا تجاريًا – عبر الصحراء- بين باقي مناطق الغرب الإسلامي. وإذ أن الأمر كذلك، فهل هذا يعني أن العلاقات التجارية بين المغرب والسودان الغربي انطلقت مع قيام دولة المرابطين؟ ثم ما دور صنهاجة الصحراء دور في تخصيب الحياة التجارية بين شمال الصحراء الكبرى وجنوبها؟ وما أهم المراكز التجارية وطرق القوافل بين المغرب وبلاد السودان الغربي خلال العصر المرابطي؟ هذه الإشكاليات وغيرها هي التي شكلت عناصر هذه الدراسة.

أولاً: التجارة القافلية العابرة للصحراء قبل القرن (الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي)

إن الواقع التاريخي يؤكد أن قساوة ظروف ومناخ الصحراء الكبرى، لم يجعل منها حاجزًا بين شمالها وجنوبها، إذ لم تكن هناك قطيعة بين الضفتين، بل انها (أي الصحراء) كانت حاضرة وبقوة في بناء جسور التواصل بينهما. فلقد ارتبطت منطقة الغرب الإسلامي عبر التاريخ بمنطقة أفريقيا جنوب الصحراء، بعلاقات متعددة الأبعاد (تاريخية، حضارية، ثقافية، سياسية...). وضمن هذا السياق نجد تلك الروابط والصلات التجارية التي قامت بين المغرب الأقصى والسودان الغربي، وهي روابط قديمة، سابقة لدخول الإسلام منطقة الشمال الأفريقي. ولكن هذه الاتصالات المبكرة- بين الطرفين- رغم أهميتها، إلا أنه من الصعب تتبعها بدقة أو توقيعها على الخرائط بالتفصيل، ذلك أن الأدلة في تلك العصور البعيدة محدودة، وتكاد تقتصر على إشارات في كتابات القدماء أو بعض الأدلة الأثرية غير الكاملة، وإن كانت النقوش الصخرية قد أشارت إلى عدة طرق تعبر الصحراء.[٤]

وشكل دخول الإسلام لشمال أفريقيا، العصر الذهبي لتاريخ تلك العلاقات التجارية الصحراوية، لما عرفته هذه التجارة من حيوية. وقد انطلقت مع القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي. وكانت الجمال الدعامة الأساس والمحرك الفعال للنشاط التجاري بين ضفتي الصحراء،[٥] ذلك أن دخول الجمل مجال النقل التجاري، شكل حدثًا هامًا في منطقة الصحراء الكبرى، لما كان له من أثر في تخصيب الحياة التجارية والحضارية بين جزئي إفريقيا شمال الصحراء وجنوبها. وهكذا نجد أن الحديث عن التجارة عبر الصحراء بين المغرب والسودان الغربي، يفرض ضرورةً، الوقوف عند أساسها وعمودها الفقري، والأمر يتعلق بالقافلة، فالقوافل التجارية المغربية كانت تعبر الصحاري لتصل إلى بلاد السودان الغربي. فالقافلة ونظرًا لما لعبته من أدوار ريادية في قيام الدول في منطقة الغرب الإسلامي (المرابطون، الموحدون...)، وفي السودان الغربي (غانا، مالي، ....)، اعتبرت هاجسًا نتحدث عنه خلال العصور الوسطى والحديثة والمعاصرة.[٦]

وقد انطلقت الصلات التجارية بين المغرب وبلاد السودان الغربي بالنسبة للفترة الإسلامية، خلال (القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي). وسندنا في ذلك تلك الإشارات التي أوردها البكري (ت. ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م)، ففي معرض حديثه عن الطريق التجاري الصحراوي الرابط بين تامدولت وأودغست، ذكر أن والي المغرب آنذاك عبد الرحمان بن حبيب (١٣٠-١٣٨هـ/ ٧٤٧-٧٥٥م) حفر آبارًا على هذه الطريق، وفي ذلك يقول: "من تامدولت إلى بير الجمالين مرحلة، وهذه البير عمقها أربع قامات من أنباط عبد الرحمان بن حبيب"،[٧] مما يدل على أن القوافل التجارية المغربية كانت تعبر هذه الصحاري خلال هذه الفترة، بل وقبلها، وما قام به عبد الرحمان بن حبيب إنما هو تسهيل لهذا العبور.

وستتأكد العلاقات التجارية بين بلاد المغرب والسودان الغربي خلال القرون الموالية، عبر محور سجلماسة- أودغست- غانا، فغداة سيطرة الفاطميين على مدينة سجلماسة سنة (٢٩٧هـ/ ٩٠٩م)، انتعشت التجارة بين الطرفين، ومن شواهد ذلك ما ذكره ابن حوقل (ت. ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م)، حينما تحدث وقال:" لقد رأيت بأودغست صكا فيه ذكر حق لأحد تجار سجلماسة على رجل من تجار أودغست يدعى محمد بن أبي سعدون باثنين وأربعين ألف دينار وشهد عليه اثنان من الشهود".[٨] وبقيام دولة المرابطين خلال القرن (الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي)، بدأت مرحلة جديدة من تاريخ العلاقات التجارية بين ضفتي الصحراء، خاصةً بعد الضم المرابطي لكل من أوداغوست وقرطبة والجزائر؛ الذي شكل فرصة لانتعاش الحياة التجارية في المغرب الأقصى[٩]، اتسمت فيها العلاقة مع السودان الغربي بخصوصيات كبيرة.

وعلى الرغم من أن الصحراء كانت خلال فترات العصر الوسيط أداة للتواصل بين بلاد المغرب والسودان الغربي، فإن عبور القوافل التجارية لها لم يكن من السهولة بمكان، نظرًا لما يعترض ذلك من صعوبات استفاض الرحالة العرب في وصفها في رحلاتهم، كما هو الشأن بالنسبة لابن حوقل وغيره. هذه الصعوبات، هي التي جعلت الفرد في بلاد المغرب خلال العصر الوسيط، سواء كان تاجرًا أو فقيهًا أو مسافرًا عاديًا، كان يفكر ألف مرة قبل أن يقرر اجتياز الصحراء، وحينما يتخذ القرار يتهيأ للسفر طيلة عدة أشهر حتى يتسنى له اتخاذ جميع الاحتياطات اللازمة لسفره من شراء الإبل، وترويضها على العطش، وتوفير المال اللازم لقضاء الحاجات الخاصة، ولدليل القافلة، ولشراء الماء في الصحراء،[١٠] ولعل هذه الصعوبات هي التي دفعت القبائل الصحراوية إلى خلق أنظمة تسير عليها القوافل التجارية تأقلمًا مع ظروف الصحراء الصعبة، وذلك عبر تأمين وتنظيم المسالك التجارية الرابطة بين المنطقتين.

ثانيًا: الطرق التجارية بين المغرب الأقصى والسودان الغربي خلال العهد المرابطي

بتوحيد المرابطين المغرب الأقصى، والسيطرة على أهم المراكز التجارية به، كسجلماسة وأغمات وتمدولت... وبتوحيدهم القبائل الصنهاجية الصحراوية، ازدهرت التجارة الصحراوية بين المغرب والسودان الغربي، خلال القرن (الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي). وقد لعبت المسالك والطرق التجارية العابرة للصحراء دورًا هامًا في خلق جسور التواصل بين المنطقتين شمال وجنوب الصحراء، ومن أهم هذه الطرق نجد:

- طريق فاس- مراكش- تامدولت – أوليل -غانة.
- طريق فاس – سجلماسة- تامدولت- أوليل – غانة.
- طريق فاس – سجلماسة- تمدولت- أودغست- غانة.

ويعتبر الطريق اللمتوني الرابط بين سجلماسة وغانة عبر تامدولت ودرعة وأودغوست، المسلك التجاري الهام والنشيط الرابط بين بلاد المغرب الأقصى وبلاد السودان الغربي، خلال العصر المرابطي. وترجع حيوية هذا الطريق إلى جملة من العوامل ، نذكر منها:

- استفادته من تدهور أحوال الطريقين الشرقي والأوسط بين المغرب الأوسط والأدنى ومنطقة السودان، بعد هجرة القبائل الهلالية، وما رافق ذلك من اضطراب الأحوال السياسية في المغربين الأوسط والأدنى، مما انعكس سلبًا على وضعية القوافل العابرة لهذين الطريقين.
- مرور طريق سجلماسة – أودغست –غانة، بمناجم من الملح أعطاها أهمية تجارية كبيرة. ومن هذه المناجم التي حدثنا عنها البكري، نجد منجم تغازي الذي يبعد عن سجلماسة بنحو عشرين يومًا، ومنجم أو ليل على شاطئ المحيط الأطلسي، والبعيد عن أودغست مسيرة ثلاثين يومًا.[١١]
- كما أن تحكم القبائل الصنهاجية في طريقي سجلماسة – أودغست، والطريق الساحلي المار من سوس عب الصحراء الغربية حيث مضارب جدالة ولمتونة، قبل أن تمتد سلطتها إلى الشمال،[١٢] أعطى أهمية كبيرة لهذا الطريق، وخاصةً بعد السيطرة على مركز سجلماسة سنة (٤٤٦هـ/ ١٠٥٤م).
- كما استفاد هذا الطريق من إحياء النزعة التجارية لدى القبائل الصنهاجية متجاوزة بذلك الصراعات القبلية والعنف الذي أجل لمدة طويلة قدرتها على تكوين تنظيمات اجتماعية واقتصادية.[١٣]

والجدير بالذكر هنا؛ أن اجتياز هذا الطريق ليس أمرًا هينًا، فمن خلال ما قدمه البكري، وهو يتحدث عن طريق تامدولت – اودغست، تتجلى لنا المخاطر الكبرى التي تعترض القوافل التي تعبر هذا الطريق، حيث قال: "من تامدولت إلى بير الحمالين (...) ومنها إلى شعب ضيق لا تسير فيه الإبل إلا متتابعة، (...) ثم تسير إلى جبل يسمى أزرو ثلاثة أيام وهو محجر، ومن خرج فيه عن الطريق أصاب زبر حديد مثقبة لا تذيبه النار، وهذا الجبل كثير الثعابين (...) فتسير في هذا الجبل (...) إلى ماء يسمى تندفس آبار يحتفرها المسافرون، فلا تلبث أن تنهار وتندفن ثم تسير إلى بير كبير يقال لها وين هيلون، ثم تمشي في أرض سواء صحراء (...) ثم تمشي في جبال رمل معترضة لا ماء فيها وهو أصعب موضع بطريق أودغست (...) إلى موضع يقال له واتلرمين، فبئر قريبة الرشاء فيها العذب والشريب، وعليه جبل طويل صعب كثير الوحوش، وبهذا الماء يجتمع جميع طرق بلاد السودان، وهو موضع مخوف تغير فيه لمطة وجزولة (...) ويتخذونه مرصدًا لهم بإفضاء الطرق إليه وحاجة الناس إلى الماء فيه (...) ثم تمشي في أرض لصنهاجة كثيرة الماء من الآبار (...) ثم تسير منه إلى أودغست ...."[١٤].

ويقول البكري أيضًا، في موضع يتحدث فيه عن الطريق من وادي درعة إلى بلاد السودان: "من وادي درعه (...) إلى وادي تارجا، وهو أول الصحراء (...) حتى تصل إلى البير المسماة تزامت، ثم إلى بير الحمالين(...) وبير نالي (...). ومن هذا الجبل (أدرار ان أوزال) ماء على ثمانية أيام (...) وذالك الماء في بني ينتسر من صنهاجة، ومن بني ينتسر إلى قرية تسمى مدوكن لصنهاجة أيضًا، ومنها إلى مدينة غانة أربعة أيام..."[١٥].

وباستقرائنا لهذه النصوص، وغيرها كثير، أمكن لنا أن نسجل الملاحظتين التاليتين:

- أن عبور الطريق الصحراوي الرابط بين سجلماسة – أودغست- غانة، كان يتحكم فيه هاجسين أساسيين: أولهما أمني حيث الخوف من قطاع الطرق ومن أهوال جغرافية الصحراء. وثانيهما ما يمكن أن نسميه بـ "الهاجس المائي"، ذلك أن الماء عنصر ثمين وحيوي، تضرب له القوافل ألف حساب، فهي تتحرك من بئر وهي متعطشة للحظة الوصول إلى بئر آخر للاستراحة والشرب، وهكذا إلى أن تصل مقصودها. ولعل هذا ما يفسر تمركز الصنهاجيين حول مراكز الماء، محاولة منهم للتحكم وتوجيه التجارة العابرة لمواطنهم.
- أن صنهاجة الصحراء استطاعت أن تخفف من حدة الصعوبات التي تواجه القوافل التجارية المارة عبر أراضيها، نظرًا لما رسخته من تقاليد في التعامل التجاري وتأمين القوافل وحمايتها.

ثالثا: المراكز التجارية بين المغرب الأقصى والسودان الغربي خلال العهد المرابطي

عبر المسلك التجاري الرابط بين المغرب والسودان الغربي تتواجد عدة مدن ومراكز تجارية صحراوية. وكان من الطبيعي أن تجد القوافل التجارية بعض المراكز التي تستريح فيها وتتزود بالماء والزاد لمواصلة رحلتها الطويلة.[١٦] ومن أهم هذه المراكز التجارية التي ازدهرت عبر هذا الطريق، خلال المرحلة المدروسة، نجد:

سجلماسة: تأسست سنة (١٤٠هـ/ ٧٥٧م)[١٧]، على يد الخوارج الصفرية، والتي كانت عاصمة لدولة بني مدرار، كانت ملتقى تجاريًا للقوافل التجارية سواء القادمة أو المتجهة نحو بلاد المشرق والسودان الغربي. وبعد سيطرة المرابطين عليها سنة (٤٤٦هـ/ ١٠٥٤م)،[١٨] عرفت سجلماسة نشاطًا تجاريًا مهمًا، وأصبحت مركزًا إقليميًا مرابطيًا في المغرب الأقصى، خاصةً وأن موقعها ومؤهلاتها أهلتها لأداء هذا الدور في منطقة الغرب الإسلامي ككل، يقول البكري:[١٩] "وهي (سجلماسة) كثيرة النخل والأعناب وجميع الفواكه (...) ومدينة سجلماسة في أول الصحراء...".

درعة: قاعدتها تيومتين، سيطر عليها المرابطون سنة سيطرتهم على سجلماسة وذلك سنة (٤٤٦هـ/ ١٠٥٤م).[٢٠] وكانت مركزًا تجاريًا تعبره القوافل القادمة من وإلى سجلماسة في اتجاه السودان الغربي، يقول البكري: "... وهذه المدينة (درعة) آهلة عامرة بها جامع وأسواق جامعة ومتاجر رائجة..."،[٢١] كما تتميز بحصانتها، وباختراق وادي درعة لها.

تامدولت: مركز على جبل باني بين منطقتي أقا وتوزونين، بواحة طاطا جنوب شرق المغرب الأقصى، تأسس على عهد الدولة الادريسية على يد عبد الله بن إدريس الثاني خلال القرن التاسع للميلاد. تميز هذا المركز بغناه المعدني، وخاصةً الفضة والحديد، كما لعب دورًا كبيرًا في ازدهار العلاقات التجارية بين المغرب والسودان الغربي، خاصةً غداة سيطرة المرابطين عليه، إلا أن أهمية هذا المركز ما لبثت أن انحرفت لصالح مراكز تجارية أخرى وخاصةً منطقة تازروالت.[٢٢]

أودغست: مدينة كبيرة آهلة، فيها أسواق، حولها بساتين النخل، ويزدرع فيها القمح، وبها شجيرات تين يسيرة، فيها جنان حناء لها غلة كبيرة، وبها آبار عذبة.[٢٣] اعتبر هذا المركز الصحراوي صلة وصل بين القوافل القادمة من سجلماسة والمتوجهة نحو السودان الغربي أو العكس. وبنجاح المرابطين في السيطرة عليه سنة (٤٤٦هـ/ ١٠٥٤م)،[٢٤] استطاعوا أن يتحكموا في المنافذ الرئيسة لطرق التجارة الصحراوية ومحاورها الكبرى شمال وجنوب الصحراء، خاصةً بعد السيطرة على مركز "غانا" سنة ١٠٧٧م.

لقد لعبت هذه المراكز أدوارًا تجارية بارزة في تبادل مواد وسلع مختلفة بين المغرب الأقصى والسودان الغربي خلال الفترة المدروسة، وقد ارتبطت عملية التبادل هذه باعتبارين أساسيين:[٢٥]

- طول الرحلة، وهذا معناه أن السلع السريعة التلف لا مكان لها في هذه التجارة.
- أن جميع السلع لابد أن تكون قيمتها كبيرة بالنسبة لوزنها، ذلك أن أجور النقل عبر الصحراء كانت تضيف ما يتراوح (١٠٠٪) و(١٥٠٪) من تكاليف السلعة، ولكن هذه النسبة تنخفض بطبيعة الحال إذا كانت قيمة السلع مرتفعة.

ويمكن أن نقسم هذه السلع المتبادلة بين طرفي الصحراء إلى صنفين أساسيين:

المواد المغربية: ونعني بها مختلف السلع التي كانت تصدرها منطقة المغرب الأقصى نحو ممالك السودان الغربي. وتتكون في معظمها من الثمور والزبيب والقمح[٢٦]، وشجر المرجان المجلوب من مدينة سبتة، والذي كان أهل السودان يستعملونه كثيرًا.[٢٧] إضافة إلى النحاس المصنوع والأثواب وبعض الجلود الفاسية.. إلا أن أهمها كان مادة الملح المنتشرة على هوامش المسالك الرابطة بين المغرب الأقصى والسودان الغربي، فـ "من غرائب تلك الصحراء معدن الملح الذي يتجهز به إلى كل من سجلماسة وغانة وسائر بلاد السودان"[٢٨]، ويبدو من خلال كلام البكري هذا، أن الملح ليس مادة مغربية متوفرة في مدن وأقاليم المغرب الأقصى، وإنما كان التجار المغاربة يستبدلون بعض سلعهم بالملح في الصحراء الكبرى لينقلوه إلى السودان الغربي. وقد حدد لنا البكري مناطق استخراج الملح في المناطق التي تبعد حوالي يومين عن "المجابة الكبرى"، وفي المنطقة التي تبعد عن سجلماسة مسيرة عشرين يومًا، وموقع "أوليل" على الساحل الأطلنتي[٢٩]، كما وصف لنا ذات المؤرخ الكيفية التي كان يستخرج بها هذا المعدن، إذ كان "يقطع كما تقطع الحجارة".[٣٠] وكانت أهمية معدن الملح لدى السودانيين لا تقل عن أهمية الذهب بالنسبة للمغاربة،[٣١] نظرًا لحاجة تلك البلاد الماسة للملح وانعدامه عندهم.

سلع السودان الغربي: ونقصد بها تلك المواد التي تصدر اتجاه المغرب الأقصى سواء كانت سودانية صرفة أم جلبت من مناطق أخرى. ويعتبر الذهب المادة الرئيسية المصدرة من ممالك السودان الغربي، ويتسم بجودته، خاصةً ذهب أودغست الذي اعتبره البكري أجود ذهب أهل الأرض وأصحه[٣٢]، فكان الذهب-إضافة إلى العنبر والرقيق- "مادة ثمينة" بالنسبة للمغاربة وإغراءً حقيقيًا وقويًا أنساهم أهوال ومتاعب الصحاري والتوجه إلى بلاد السودان، فلولم يكن الملح يُقَايض وزنًا بوزن الذهب لما خاطر تجار المغرب الأقصى و"غامروا" بأنفسهم لجلب الذهب السوداني.

الخلاصة

- لقد استطاعت الصحراء عبر قوافلها التجارية أن تشكل جسرًا للتواصل التجاري بين المغرب الأقصى والسودان الغربي، بفضل الأدوار الكبرى لاتحادية صنهاجة التي راكمت تجارب تجارية شكلت دعامة قوية في قيام الدعوة المرابطية انطلاقًا من تخوم الصحراء الأطلنتية.
- لقد مكن النشاط التجاري المزدهر خلال المرحلة المدروسة من ازدهار مدن ومراكز حضرية على طول هذه المسالك كسجلماسة وتامدولت ودرعة وغانة وأودغست، مما جعل من تجارها وسطاء بين الضفتين.
- لقد استطاعت القوافل التجارية الرابطة بين ضفتي الصحراء على عهد الدولة المرابطية، أن تجسد الروابط الحضارية والدينية بين المنطقتين إذ لم يكن الطريق اللمتوني مسلكًا لنقل السلع فقط، بل انتقلت عبره الأفكار والثقافات أيضًا. فقد أدخل تجار لمتونة الإسلام إلى صنغاي، وقد كان أول مَنْ أسلم منهم أميرهم هوزاغوصي سنة (٤٠٠هـ/ ١٠٠٩م). كما أدخل المرابطون الإسلام إلى بلاد التكرور سنة (٤٣٢هـ/١٠٤١م)، وفي مقابل ذلك خلف السودانيين تأثيرات حضارية ما تزال معالمها حاضرة في بلاد المغرب الأقصى إلى يومنا هذا.

ملاحق

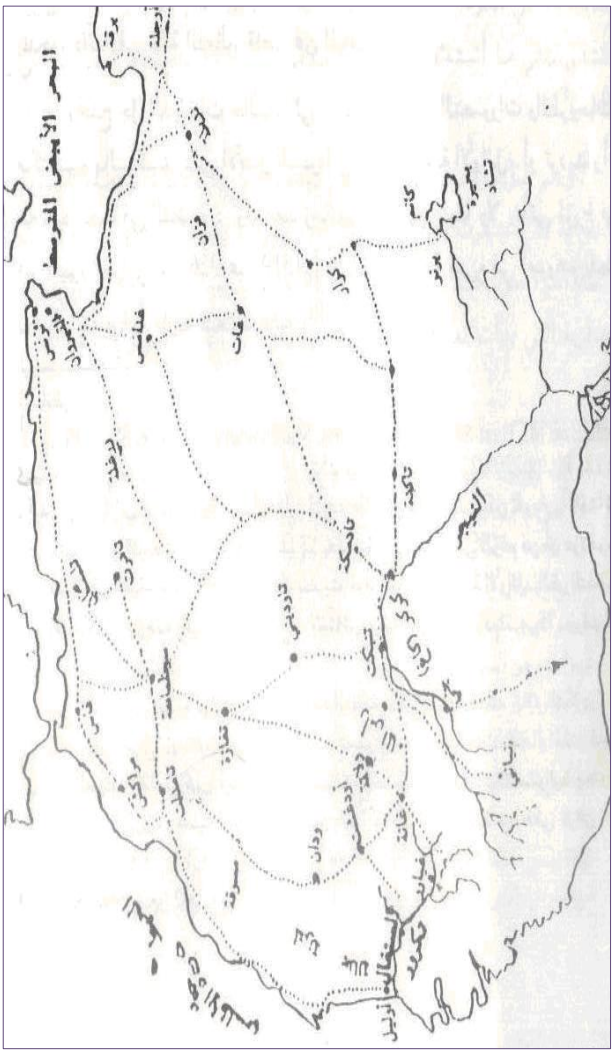

طرق التجارية التجارة الصحراوية
بين الغرب الإسلامي والسودان الغربي خلال العصر الوسيط

الهَوامِشُ:

(١) خديجة الراجي، **التجارة الصحراوية ثوابت ومتغيرات، مدخل إلى تاريخ الصحراء الأطلنتية**، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الطبعة الأولى. ٢٠١٠، ص ٩٢.

(٢) انظر: **مقدمة أعمال ندوة التجارة وعلاقتها بالمجتمع والدولة عبر تاريخ المغرب**،ج١، ص٩، جامعة الحسن الثاني عين الشق كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، المغرب.

(٣) ونعني به المجال الجغرافي الممتد جنوب الصحراء الكبرى من المحيط الأطلسي غربًا، وبحيرة تشاد شرقًا، والذي ضم عدة كيانات مثل سنغاي وتكرور وغانا ومالي.

(4) Law.R.C.C.the Garamants.and trans-saharan.entreprise in classical times .jour afr.history .vol 4 .p82-83.

(٥) اختلفت الكتابات التاريخية حول تاريخ دخول الجمل إلى شمال إفريقيا، بين مَنْ أرجع ذلك إلى فترة ما قبل الميلاد، ومَنْ ربط ذلك بالفترة الرومانية. راجع: عبد اللطيف البرغوتي، **التاريخ الليبي القديم**، بيروت دار صادر ١٩٧١.

Mohamed Lhabib, Nouhi.Apropos de l'introduction du Maroc .in l'homme et le dromadaire en afrique .publication de la facultés des lettres et des science Humaines. Agadir. P. 21-25.

(٦) حول القافلة كتنظيم ومؤسسة، انظر: زهرة طموح، **تنظيم القافلة خلال القرن التاسع عشر**، ضمن أعمال ندوة التجارة في علاقتها بالمجتمع والدولة عبر تاريخ المغرب، ج٢، جامعة الحسن الثاني عين الشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، ص ٢٩٤ وما بعدها.

(٧) البكري، **المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب**، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، بدون تاريخ، ص١٥٦.

(٨) ابن حوقل، **صورة الأرض**، دار صادر للطباعة، بيروت، ١٩٣٨، ص٩٩.

(9) LESSARD,J.M,SIJILMASSA LA VILLE ET SES RELATIONS COMMERCIALEE AU XIème siècle D'après ELBAKRI, IN Hesperes Tamuda vol VX , 1969, P. 33-34.

(١٠) أحمد الشكري، **أسس ومحددات التواصل بين بلاد المغرب وبلاد السودان خلال العصر الوسيط**، ضمن: العالم العربي وإفريقيا: تحديات الحاضر والمستقبل، منشورات وزارة الثقافة المغربية، سلسلة ندوات، الرباط، ٢٠٠٥. ص ١١٨.

(١١) انظر: البكري، م س، ص١٧١.

(١٢) إبراهيم حركات، **النشاط الاقتصادي الإسلامي في العصر الوسيط**، أفريقيا الشرق، ١٩٩٦، ص١٢٤.

(١٣) مصطفى ناعمي، **الصحراء من خلال بلاد تكنة تاريخ العلاقات التجارية والسياسية**، منشورات عكاظ، الرباط، ١٩٨٨، ص٣١ .

(١٤) البكري، م س، ص١٥٦-١٥٧.

(١٥) نفسه، ص١٦٤.

(١٦) الأمين عوض الله، **تجارة القوافل بين المغرب والسودان الغربي وآثارها الحضارية حتى نهاية القرن ١٦م**، ضمن تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر، بغداد، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٨٣، ص٨٠.

(١٧) البكري، م س، ص١٤٨.

(١٨) نفسه، ص١٦٧.

(١٩) نفسه، ص١٤٨.

(٢٠) ابن عذاري، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، ج٤، تحقيق إحسان عباس، الدار العربية للكتاب والنشر، الطبعة الثالثة، ١٩٨٣، ص١٢-١٣.

(٢١) البكري، م س، ص١٥٥.

(٢٢) خديجة الراجي، **التجارة الصحراوية ثوابت ومتغيرات**، مدخل إلى تاريخ الصحراء الأطلنتية، م س، ٩٨.

(٢٣) البكري، م س، ص١٥٧.

(٢٤) نفسه، ص١٦٨.

(٢٥) محمد عبد الغني سعودي، **قضايا إفريقيا**، عالم المعرفة، العدد (٣٤)، ١٩٩٠، ص٦٤.

(٢٦) البكري، م س، ص١٥٧-١٥٨.

(٢٧) الإدريسي، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، ١٩٧٠، ص٥٢٩.

(٢٨) البكري، م س، ص١٧١.

(٢٩) نفسه، ص١٧١.

(٣٠) نفسه، الصفحة نفسها.

(٣١) محمد بن صالح القيرواني، **تكميل الصلحاء والأعيان لمعالم الإيمان في أولياء القيروان**، تحقيق، محمد العنابي، المكتبة العتيقة، تونس، ١٩٧٠، ص٣٠٤.

(٣٢) البكري ، م س، ص١٥٩.